باب التقريظ والانتقاد

تقويم الابدان لابن جزلة الطبيب

انفس الهدايا واثمنها

كنا نعنون هذا الباب بباب الهدايا والتقاريظ تفاؤلاً باهداء الكتب المفيدة الى مكتبة المقتطف فنستفيد منها ونفيد . ثم رأينا ان نبدل العنوان بعنوان آخر لان الكتب التي كانت تهدى الينا يقصد بها اما تقريظها او الاعلان عنها . لكن هذه القاعدة خولفت الآن مخالفة كبيرة تستوقف النظر فان الباحث المحقق صاحب السعادة احمد زكي باشا الكرتير الاول لمجلس الوزراء قصد الاستانة منذ بضع سنوات فبحث في مكاتبها عن نوادر الكتب العربية وصوّرها بالفوتوغرافيا لكي تطبع وتنشر . ومن الكتب النادرة التي صورها كذلك كتاب تقويم الابدان لابن جزلة وهو في مئة صفحة وصفحتين طول كل صفحة منها ٢٨ سنتيمتراً وعرضها ٢٩ مكتوبة بخط جميل جدًّا سنة ٥٩٦ للهجرة اي بعد وفاة المؤلف بمئة سنة . ثم جمع هذه الصفحات بل الصور البديعة وجلّدها في كتاب كبير مجلّداً جميلاً متيناً واهداهُ الى مكتبة المقتطف . والهدايا على مقدار مهديها . والمؤلف يحيى بن عيسى بن علي بن جزلة من اشهر اطباء العرب يعدّ من طبقة ابن سينا وابن بطلان وابن التلميذ والفخر الرازي . قال ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء انهُ « كان من المشهورين في علم الطب وعمله ولهُ نظر في علم الادب وكان يكتب خطًّا جيداً منسوباً وقد رأيت بخطهِ عدة كتب من تصانيفهِ وغيرها تدل على فضلهِ وتعرب عن معرفتهِ . ولهُ من الكتب كتاب تقويم الابدان صنفهُ للمقتدي بامر الله . وكتاب منهاج البيان فيما يستعملهُ الانسان وكتاب الاشارة في تلخيص العبارة وما يستعمل من القوانين الطبيّة في تدبير الصحة وحفظ البدن خصهُ من كتاب تقويم الابدان »

وترجمهُ القاضي ابن خلكان في وفيات الاعيان فذكر ما تقدم من كتبهِ وقال انهُ توفي سنة ٤٩٣

وتقويم الابدان جداول وشروح كتذاكر الجيب التي توضع للمشتغلين بالتطبيب . فالجداول تتناول كل الامراض والافات التي كانت معروفة في عهد المؤلف والشروح تتناول

تدبير هذه الامراض والافات اي طرق علاجها مثال ذلك الكلام على الحمّى التي سماها حمّى يوم فقد ذكر ثمانية انواع منها في صفحة واحدة ووصف من يصاب بهذا النوع او ذاك منها وسنهُ والزمان والمكان اللذين يكثر هذا النوع فيهما والانذار فيهِ وسماهُ السلامة والخوف والسبب والعلامات وهل يجوز الاستفراغ فيهِ او لا يجوز اي هل يجوز اطلاق الدم او الامعاء . والتدبير الملكي اي معالجة الذين يصعب عليهم اخذ الدواء الكريه كالملوك والاطفال والتدبير السهل الموجود للذين يسهل عليهم استعمال كل علاج . مثال ذلك قولهُ في حمى يوم الناتجة عن التعب انها تصيب اصحاب المزاج اليابس من الشبان في زمن الصيف والبلاد الحارة وفي سليمة العاقبة وسببها الرياضة المجاوزة للاعتدال وعلامتها يبس الجلد وصغر النبض ويترك فيها الاستفراغ . والتدبير الملكي فيها الاستحمام والدلك المعتدل ودهن البنفسج ولحم الفراريج والجداء . والتدبير السهل الوجود الراحة والنوم والاستحمام والدهن . وقال في تدبير هذه الحمى ان اوفق ما يدبَّر بهِ صاحب هذه الحمى الدعة والسكون في المواضع التي يقتضيها الوقت فاذا انحطت الحمّى فليدخل الحمام ويجلس في الايوان الذي فيهِ الماء الفاتر ثم يخرج منهُ فيدلك بدنهُ دلكاً معتدلاً بدهن البنفسج والنيلوفر ثم يصب عليهِ الماء الفاتر الكثير . فاذا خرج وسكن فليغذَّ بالفراريج واطراف الجلي واخس والهندباء وبقلة الحمقاء ويستكثر من الغذاء في دفعات كثيرة ليخلف عوض المحلل

وقال في الكلام على حمّى الغب انها تصيب اصحاب المزاج الحار اليابس في سن الشباب وزمن الصيف في البلدان الحارة اليابسة . والانذار فيها السلامة اذا كانت ذات مرات وسببها عفن الخلط الصفراوي خارج العروق . وعلاماتها انها تنوب يوماً ويوم لا . تافض شديد ولدغ كخس الابر وحرارة لذاعة وتبن البول ولونهُ كلون النار وعطش شديد وان كانت داخل العروق . واختلاط الدهن . والاستفراغ بماء الرمانين بشحمها مع سكر وشراب الورد المكرر وبسكنجبين وثلج . والتدبير الملكي ماء الشعير بشراب البنفسج وماء الطيخ الهندي والجلاب والطباشير . والتدبير السهل الموجود ماء الرمان المز وبزر بقلة وماء خيار والماء البارد اذا لم تكن المعدة او الكبد خفيفة

وقال في التدبير العام انهُ بعد استفراغ الخلط ينبغي ان يسقى يوم النوبة ماء تمر هندي مصفى مع سكنجبين وجلاب وماء الرمان . ويوم اخلاطها يسقى خمسين درهماً ماء الشعير مع اوقية سكر طبرزد وبعدهُ باربع ساعات اوقية ونصف سكنجبين ساذج ويتمضمض الرمان المز ويأخذ الاجاص ويأكل اخس فان كان صيفاً فيبرد ما يتناول بالثلج ويكون في هواء

بارد فان كان شتاء في موضع معتدل الهواء فانه عرض الغشيان واحس بحرارة فيقيا بالسكنجبين وماء حار ويأخذ بعد القيء شراب الخسرم وشراب الرمان الحامض

وقال في الكلام على السرطان انهُ يصيب اصحاب الامزجة الباردة واليابسة من الكهول ويظهر في اخر يف في البلاد الباردة وهو غير مخوف الا أن تأكل او قرب من عضو شريف وسببهُ المرة السوداء اذا كان بعضها خارج العروق وبعضها داخلها وعلاماتهُ شدة الصلابة وشكلهُ شبيه بشكل السرطان والاستفراغ فيهِ بالفصد وان كان في امرأة فبادرار الحيض ثم بمطبوخ الانتيمون . والتدبير الملكي انطي بالتوتيا والمرداسنج واسفيداج الرصاص ودهن ورد وشمع . والتدبير السهل الموجود شمع ودهن وطين ارمني . وقيل في التدبير العام انهُ قبل ان يتقرح ينبغي ان يضمد بورم الزنجفر فان تقرح فيطلى باسفيداج الرصاص وتوتيا مغسول ودهن ورد وماء الكرفس او القنطريون المسحوق بماء او افسل الشبث واسان الحمل مسحوقين مجبونين بماء . فان استحكم وعظم ولم يصلح بالادوية فان كان في الرحم فلا سبيل الى قطعهِ . وكثيراً ما يعرض فيهِ نزف وان كان في الثدي وكثيراً ما يعرض فيهِ نزف ايضاً او كان في موضع من البدن لا تجاوزهُ شرايين كثيرة فيعالج بالحديد بان يقوّر بورمى حادة ثم تعصر العروق بعد ذلك ليبرز منها الدم ثم يعالج بالسمن والمراهم الداملة للقروح

وقال في الكلام على الحمّة (ولعلها الكوليرا) انها تصيب اصحاب الامزجة الباردة من الكهول في اخر يف في البلدان الجنوبية وهي مخوفة وسببها فساد البلغم لكثرتهِ اورداءة كيفيتهِ وعلاماتها الكرب والعطش والغشيان ثم القيء والاسهال ويجب فيها الاستفراغ بالقيء بالماء الحار ودهن لوز . وان اسرف القيء فيسقى المنبه . هذا هو التدبير الملكي . والتدبير السهل الموجود الانغماس في الماء البارد ويستكثر من النوم . وقال في التدبير العام ينبغي ان يضمد البطن بالآس والسفرجل ودهن الورد والطين الارمني ويشم الروائح الطيبة كالصندل وماء الورد والكافور والسفرجل وان اسرف الاسهال او القيء حتى يحدث غشيان فيرش الماء المبرّد وماء الورد على الوجه ويشد عضل الساعدين والساقين وبذلك القدمين فاذا افاق فيعطى السفرجل والتفاح ويغذى باخبز المبلول بمثلث او بماء التفاح والكمك او بمرقة دراج او فروج زيرباج بكمك او سمّاقية او زركشية ألقيَ فيها قطع السفرجل والتفاح . فان وجد حرارة فيعطى سويق الشعير بالماء المثلوج وتبرد المعدة بالصندل وماء الورد فان كان القيء بلغميًّا فيعطى شراب التفاح الطيب

ويتبع ذلك شروح كثيرة مسطورة في اوائل الصفحات واواخرها لكن المجلد اخطأ في وضع الصفحات فجعلها متوالية بدلاً ان يجلد كل اثنتين متقابلتين لتتصل سطور الواحدة بسطور الاخرى

واخط من ابدع ما رأته عينا مثل خطوط اجمل المصاحف

ولم نسمع انهُ عني احد بطبع هذا الكتاب ونشره مع انهُ ترجم الى الفرنسوية وطبع فيها. ولا شبهة في ان اطباءنا يجدون فيهِ فوائد كثيرة عملية فيرون طرق العلاج القديمة وما قد يكون فيها من الاساليب النافعة ويرون ايضاً كيف كان القدماء ينظرون الى الامراض واسبابها . ويستفيد الكتَّاب والمترجمون منهم معرفة المصطلحات الطبية القديمة ويرون ان طبيباً من المشهود لهم بالادب كان يفضل الخطأ المشهور على الصواب المهجور

هذا واننا نكرر الشكر لسعادة المهدي الكريم على هذه الهدية النفيسة وحسبي ان تتمكن من الافادة بها

كتاب التفسرة

اي الاستدلال باحوال البول على المرض

الدكتور احمد بك عيسى طبيب الامراض الباطنة في المستشفى العباسي من اشهر الاطباء المصريين بالبحث والتحقيق وتجلية جيد العربية بنفائس الكتب الطبيَّة . اتحفنا الآن بكتاب يعد اكبر مساعد للطبيب على تشخيص المرض لان البول شديد التأثر بحال الانسان من الصحة والمرض حتى كان الاطباء القدمون يلقون عليهِ جل اعتمادهم في تشخيص الامراض ومن ذلك قول بعضهم في الطبيب ثابت بن قرة

هل للعليل سوى ابن قرة شافٍ بعد الاله وهل لهُ من كافِ
فكأنهُ عيسى بن مريم منطقاً يهب الحياة بايسر الاوصاف
مثلك لهُ قارورتي فرأى بها ما اكتنَّ بين جوانبي وشغافي
يبدو لهُ الداء الخفي كما بدا للعين رضراض الغدير الصافي

وكتاب التفسرة واسع جدًّا في بابهِ جامع الآراء ما اعتمد عليهِ ومن الطرائق ما يُرجع اليهِ فقد خدم بهِ اخوانهُ الاطباء وابناء العربية اجل خدمة وهو يقع في نحو مئتي صفحة كبيرة موضحة بالرسوم

الدولة العثمانية
في لبنان وسورية

هذا عنوان كتيّب بقلم كاتب انتحل اسم « المسعودي » ووصف فيه حكم الدولة العثمانية للبنان وسورية في مدة اربعة قرون اي من سنة ١٥١٧ الى سنة ١٩١٦ وهو صورة جلية لماضي البلاد السورية يشتمل على تمهيد في حكم المماليك والصليبيين ثم على ستة فصول الاول سورية في القرن السادس عشر . والثاني سورية في القرن السابع عشر . والثالث سورية في القرن الثامن عشر . والرابع سورية في القرن التاسع عشر واوائل العشرين . والخامس لبنان بعد نظامه الحديث . والسادس سورية بعد نظام لبنان الحديث . ننقل شيئاً من الفصل الاخير . قال :

« ولقد كان دستور لبنان نعمة لسورية لانهُ غلّ ايدي الولاة عن ارتكاب المنكرات فيها . وحال دون ما كانوا يتذرعون بهِ من القلاقل التي كانت تقع في لبنان لاجتياحهِ والاستطراد الى اجتياح انحاء سورية وانزال الويلات باهلها ولاسيما ما كان داخلاً منها في حكم امراء الجبل . وكان لانتشار المدارس الاوربية بعد سن هذا النظام شأن خطير في ايقاظ شعور السوريين فاقبلوا عليها اقبالاً عظيماً . وكانت المدارس الوطنية الى بدء تلك النهضة ابتدائية قاصرة على جهة دون اخرى . فاخذ الاهلون يتبارون في الاكثار منها وجروا فيها على نهج المدارس الابتدائية فازداد الطلبة اقبالاً على اقتباس الآداب الغربية ونشأ الجيل الجديد راقياً متنوراً ميالاً الى انتهاج خطة الغربيين في ترقية البلاد واصلاح شأنها . وبدت هذه النهضة الادبية على اتمها في بيروت حتى باتت كعبة القصّاد من طلاب العلم ومنتجعي المعارف كما كان شأنها في عهد الرومان حيث كانت تلقب بمدينة العلوم والشرائع . ويزيد من ذلك اللسان الارضي الذي يقف عندهُ بحر الروم في الشرق كمنارة عظيمة تبعث اشعة العلم والعرفان الى ما وراء البحار ولاسيما الى ارض القراعنة فكان للقبس الذي جاء هذه الارض منها شأن عظيم في تأسيس نهضتها الحديثة . ولولا سيف عبد الحميد الذي كان مصلتاً فوق رقاب المتنورين من رعاياهُ في الربع الاخير من القرن الماضي لدخل القرن العشرون على سورية وهي سيدة الممالك الشرقية »

والكتاب جزيل الفائدة للسوريين عموماً واللبنانيين منهم خصوصاً